## الفصل الرابع عشر
# الصبر

الصبر نصف الدين وهو الكنز العظيم الثمين، به ينال المرء كرامة الله ويكون من السعداء المفلحين، وهو عماد التوفيق وسبيل السداد، ولا يمكن أن ينبغ أو ينبل أحدٌ قط إلا بالصبر، وبالصبر يكون النصر، ويعظم الأجر، ويرتفع القدر، ويكون الارتقاء في مدارج القرب من الله جَلَّجَلَالُهُ، الصبر دواء للمكلوم، وعزاء للمحروم، وزاد للمبتلى المرحوم، الصبر جواد لا يكبو وصارم لا ينبو، وحصن لا يهدم، وجند لا يهزم، وهو خير العطايا وأوسع الهبات ولئن كان الإنسان هلوعًا جزوعًا بطبعه فإن المؤمن له من إيمانه رصيد كريم يحثه على الصبر ويدفعه إليه، ويهوِّنه له ويحمله عليه، وله من تقواه لربه وحبه له ما يجعل له الصبر حالًا دائمًا، ووصفًا لازمًا، والمرء ما دام في حصن الصبر ثابتًا فإنه متعرض لرحمة الله، مستحق لمعية ربه ومولاه، جدير حقيق بحب الله له وثناء الله عليه فتعالوا نعيش هذه اللحظات، ومن خلال تلك الصفحات مع الصبر لعلنا نكون من أهله.

## حقيقة الصبر ومعناه

**الصبر لغة:** الكف والحبس يقال: صبر عن الأمر أي حبس نفسه عنه وهو نقيض الجزع قال الجوهري: الصبر حبس النفس عن الجزع، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]. أي: احبس نفسك معهم على الطاعة[(١)].

**والصبر اصطلاحًا:** حبس اللسان عن الشكوى، وحبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس الجوارح عن التشويش والمخالفات وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر على معصية الله، وصبر على امتحان الله[(٢)].

(١) «لسان العرب» (٨/ ١٩٣) ط. دار صادر، والمعجم «الوسيط والوجيز» مادة صبر.

(٢) «تهذيب المدارج» ص [٣٥٣] ط. المكتبة القيمة.

Obeikandl.com

ومعنى هذا التعريف أن يكف المرء لسانه عن الشكوى إلى الخلق؛ فإنهم لا يملكون له نفعًا ولا ضرًا ثم إن في ذلك مناقضة للصبر ومنافاة له؛ لأنه حينما يشكو ما به إلى الناس فهو في الحقيقة يشكو الله إليهم ويظهر عدم رضاه بقضائه وقدره جَلَّجَلَالُهُ، رأى الفضيل ابن عياض رجلًا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال له: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟!

**وإذا عرتك بلية فاصبر لها ... صبر الكريم فإنه بك أعلمُ**

**وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحمُ**

إن هذا الخوَّار الضعيف الذي يظل يشكو ويشكو إلى هذا وذلك هذا ليس بصابر بل هو جزوع مهين.

إن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها ويزيدها، ويسيئ الصديق ويشمت العدو، ويغضب الله ويسر الشيطان ويحبط الأجر ويضعف الإيمان قال بعض الحكماء: الجزع لا يرد الفائت ولكن يسر الشامت.

وقال شقيق البلخي: من شكا مصيبة به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبدًا.

وإذا صبر المرء واحتسب فقد أرضى ربه، وأخزى شيطانه وسر صديقه وساء عدوه وكان من الكرام العاقلين.

وهنا مسألة لابد من لفت النظر إليها وهي أن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، بل إنها من معاني العبودية والتذلل والتضرع إلى الله جل وعلا، وقد قال نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُفَ:٨٦]. مع أنه قال قبل ذلك: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [يُوسُفَ:٨٣]. وهذا نبي الله أيوب صلوات الله وسلامه عليه الذي ضرب به المثل

في الصبر وأثنى عليه ربه بذلك ها هو يقول: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وقد قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤].

وكذلك فإن من معنى الصبر استسلام النفس وإذعان القلب وعدم الضجر والسخط والجزع؛ لأن المؤمن على يقين جازم أن كل ما يجري له إنما هو بتقدير الله سبحانه، وأنه لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه، وأن كل ما يقع في الكون إنما هو قضاء الله وقدره ولا يمكن لمخلوق رده بحال من الأحوال، فكل مصيبة صغيرة أو كبيرة خاصة أو عامة قد سطرت وكتبت في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله الخليقة وقبل أن توجد الحياة قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]. إن المؤمن الصابر يعلم أن البلاء لا يدوم وأن من ورائه حكمًا وفوائد وكرامات لا يعلمها إلا الله لذلك يصبر محتسبًا عالمًا أن ربه أرحم به من نفسه ومهما اشتد البلاء فإنه في صبر وثبات وقد ورد في تعريف الصبر أنه تجرع المرارة من غير تعبُّس، وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: سحابة صيف ثم تنقشع.

إن الذي قدر عليك ما أنت فيه هو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين ليمتحن الله الإيمان في قلبك وليربيك على التذلل له والتواضع لخلقه، ولكي تطهر النفس من الكبر والعجب والغرور، ولكي تفيء النفس سريعًا إلى حقيقة العبودية لله جَلَّ جَلَالُهُ.

والمعنى الثالث في التعريف السابق للصبر حبس الجوارح عن التشويش وهي المخالفات كلطم الخدود وشق الجيوب والتلفظ بالعبارات التي تحمل السخط وتدل على عدم الرضا، وكذلك حبس الجوارح عن ارتكاب المحرمات.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من إجلال الله ومعرفة حقه ألا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك.

قال أبو مسعود البلخي: من أصيب بمصيبة فمزق ثوبًا أو ضرب صدرًا فكأنما أخذ رمحًا يريد أن يقاتل به ربه عَزَّوَجَلَّ[١].

وكم من مغبوط بنعمة هي داؤه، وكم من محرم من دواء حرمانه هو شفاؤه، ورب محبوب في مكروه، ومكروه في محبوب، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٦].

**لا تكره المكروه عند حلوله ... إن العواقب لم تزل متباينة**

**كم نعمة لا يستهان بشكرها ... لله في طي المكاره كامنة**

وقيل في تعريف الصبر: ثبات باعث الدين والعقل إذا اعتراه باعث الهوى والشهوة[٢]، وباعث الدين ما هدي الإنسان إليه من معرفة الله ورسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وهي الصفة التي فارق بها الإنسان البهائم في قمع الشهوات، وباعث الهوى هو مطالبة الشهوات بمقتضاها فمن ثبت حتى قهر هواه واستمر على مخالفة الشهوة التحق بالصابرين، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين[٣].

## حكم الصبر

الصبر منه ما هو واجب على العبد كالصبر عن المحرمات والصبر على أداء الفراض والواجبات، والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالمرض والفقر.

ومن الصبر ما هو مستحب كالصبر على فعل السنن المستحبات والصبر عن المكروهات والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله[٤].

---

(١) «الإحياء» (٤/ ١٣٩).

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» [٢٧٦] ط. دار العقيدة؟

(٣) «موعظة المؤمنين» للقاسمي [٤٢٦-٤٢٧]، ط. دار الحديث.

(٤) «عدة الصابرين بتصرف يسير» [٢٢] ط. دار الكتب العلمية.

ومما يدل على وجوب الصبر فيما ذكر قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وقوله تعالى مخاطبًا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٩]. وقوله تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾. [ص: ١٧]

ولما مرَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بامرأة تبكي عند قبر قال لها: «**اتقي الله واصبري**»(١).

ومما يدل على استحبابه في حالات أخرى قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦].

## فضائل الصبر وثمراته

الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، وفي الحديث عن فضائله دعوة إليه وحث للنفس عليه، والمهدي من هداه مولاه، ومن فضائل الصبر ما يلي:

### أولًا - الصبر تكفير للخطايا والسيئات:

الصبر يغسل العبد من خطاياه ويطهره من آثامه وذنوبه، وينقيه من آثار العصيان وآثار السيئات والمعاصي قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها من سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها**»(٢). وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همٍّ ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم [١٢٨٣]، ومسلم برقم [٩٢٦]

(٢) رواه البخاري برقم [٥٦٤٨]، ومسلم برقم [٢٥٧١].

(٣) رواه البخاري برقم [٥٦٤١]، ومسلم برقم [٢٥٧٣].

obeikandl.com

والنصب أي: التعب، والوصب هو الوجع والألم ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصَّافَّات: ٩]. أي: لازم ثابت[(١)]. فكل مصاب بألم أو مرض أو تعب حتى الشوكة إذا صبر واحتسب كان ذلك كفارة لخطيئته ورفعة لدرجته قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة»**[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على أم السائب أو أم المسيَّب فقال: **«مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين؟»** قالت: الحُمَّى لا بارك الله فيها، فقال: **«لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد»**[(٣)].

### ثانيًا- الصبر خيرٌ كله:

الخير كل الخير والفلاح والفوز وحسن العاقبة والظفر يكون بالصبر، فلو علم المؤمن ما في الصبر من الخير لما تركه في أمر من أموره قط فربنا يقول لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النِّسَاء: ٢٥]. اصبر فإن الجوع سوف يذهب وباب السجن سوف يفتح، وكل أسير سوف يطلق وكل مريض سوف يجد عاقبة صبره وكل ألم إلى زوال ومن بعد كل ذلك حلاوة يجدها الصابر في قلبه، وخفة يجدها في نفسه وروحه، وسعادة تملأ عليه قلبه ويقول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النَّحل: ١٢٦]. عجبًا لحالك أيها المؤمن حينما تبتلى فتصبر أو تعطى فتشكر، فتكون في كلا الحالين في طاعة ربك متقربًا إليه قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء**

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٣٧٥)، ط. دار الحديث.

(٢) رواه مسلم برقم [٢٥٧٢].

(٣) رواه مسلم برقم [٢٥٧٥].

صبر فكان خيرًا له»[١] أي: والله عجبًا لأمر هذا المؤمن الذي يعيش حياته كلها عبودية لربه يتقلب في تلك الحياة بين سراء يشكر ربه عليها، وضراء يصبر عندها ابتغاء وجه ربه، فيؤجر على شكره ويثاب على صبره، وفي كلا الحالين يزداد قربًا من ربه فلله ما أجملها من حياة!!

وما أبهاها وما أحلاها!! ومن أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

### ثالثًا- الصابرون هم أصدق الخلق عبودية لله:

إن ابتناء المناقب لا يكون إلا باحتمال المتاعب، ورفعة الدرجات لا تنال إلا بالصبر والثبات، وعلى قدر البذل والصبر تكون المنزلة والأجر، وإن هذه الأرض ما عرفت أحدًا من البشر قط عاش عليها أصبر وأصدق مع الله من أنبياء الله ورسوله الذين ابتعثهم ربهم لهداية الخلق ودعوتهم وكم لاقى الأنبياء من كيد وعنت، وإيذاء وابتلاء وما كان منهم إلا أن صبروا حتى أيدهم ربهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين قال ربنا جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥]. وقال عز من قائل سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. ولهذا رأينا رسول الله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أوذي في الله قال: «**يرحم الله أخي موسى ابتلي بأكثر من هذا فصبر**»[٢]. إن سبيل الحق مليء بالعقبات والأشواك والابتلاءات ولكن المهام الكبيرة لا يصطفى لها إلا صفوة الخلق وخير الخليقة الذين يجتبيهم ربهم؛ ليكونوا أهلًا لتحمل رسالة الله إلى خلقه وهم الدعاة الصادقون من بعد الأنبياء الذين ساروا

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٩٩٩].

(٢) رواه البخاري برقم [٣١٥٠]، ومسلم برقم [١٠٦٢].

على ذات الدرب وسلكوا نفس السبيل وهم يعلمون جيدًا أن هذا طريق مشحون مملوء بالعقبات والعراقيل، ولكن الثقة بالله واليقين بالله تجعل في نفوسهم تلذذًا بالبلاء واستمتاعًا بالمحن، وكفى بالمرء شرفًا أن يبتلى في الله، وقد قال بعض السلف لما سئل: هل صدتك المحن عن الطريق؟ فقال: لولا المحن لشككت في الطريق، ولهذا أيها الأحبة كانت الكلمة التي قالها ورقة بن نوفل لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أول يوم نزل عليه الوحي قال: يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أو مخرجيَّ هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي[1].

هذه طبيعة الطريق يفهمها ويعرفها أولو البصائر ولكنهم ينظرون في كل وقت وحين إلى العاقبة الحميدة والثواب الكريم والفضل العظيم الذي يؤتيه الله جَلَّجَلَالُهُ لهم في الدنيا والآخرة ومن صبر نال، من صبر ظفر، من صبر استحق نصرة الله وتأييده، وحفظه ورعايته ورحمته.

### رابعًا- بالصبر يحبك الله ويكون معك:

ربنا قريب مجيب يحفظ أولياءه ويسددهم، يعينهم ويكون معهم، وعلى قدر صبرهم يكون حفظ الله ومعيته لهم، وإذا كان ربنا معنا فنعم المولى ونعم النصير، إذا كان الله معك فمعك القوة التي لا تغلب، والعزة التي لا تقهر، والحارس الذي لا يضام والهادي الذي لا يضل، وحينما يكون الله معك يرى صبرك وثباتك وصدقك وإخلاصك، فإنه يحبك ويصطفيك، ويجتبيك ويكفيك، ويا لها من كرامة ويا له من فضل حينما يحبك الله ويكون معك قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

---

(١) رواه البخاري برقم [٣].

### خامسًا- الصابرون أهل لرحمة الله وصلاته وثنائه:

للصابرين من كرامة الله شيءٌ عظيم، فالله يصلي عليهم ويثني عليهم في الملأ الأعلى، ويغفر لهم ذنوبهم، وتنزل عليهم رحمته تأمل هذه الآية الكريمة التي تقرر ثبوت البلاء ابتداء ثم يأتي فيها ثواب الصبر العظيم ليفقه الموقنون طبيعة الطريق وليعلموا عظمة الثواب التي يثمرها الصبر ويحققها قال ربنا جل وعلا: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. هذا حال الصابرين الصادقين إذا أصابتهم مصيبة استرجعوا وصبروا وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، يقول أبو الفداء ابن كثير عليه رحمة الله: أي تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده، وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ أي: ثناء من الله عليهم ورحمة، قال سعيد بن جبير: أي أمنة من العذاب ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[1].

### سادسًا- جزاء الصبر الجنة:

يكفي ويشفي في الحث على الصبر أن تعلم أن ثواب الصابرين دخولهم الجنة وتلك أسمى المطالب وأجل المكاسب وأعظم الغايات تستحق والله أن تبذل في سبيلها النفوس، وتزهق الأرواح وتسفك الدماء؛ لأن الحياة الدنيا مهما طالت فهي إلى انتهاء، أما النعيم الخالد المقيم فلا يكون إلا في جنات النعيم، فإذا استحضر المسلم ذلك المعنى سهل عليه الصبر وهانت عليه المصائب، وهل يريد المؤمن إلا ثواب الآخرة؟! وهل يعمل ليل نهار

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٢٧١) ط. التوفيقية.

وفي كل لحظة من حياته إلا لكي يصل إلى جنة الله ورضوانه؟! أي أخي، الصبر طريقك إلى الجنة فتشبث به ودم عليه حتى تنال من حسن العاقبة ما يسرك ويسعدك، قال الله تعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٢]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه ومستلزم لحصول كل محبوب، ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية والجنان الغالية، ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة أن يجاهدها لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، ولعلها تحظى بهذه الدار التي هي منية النفوس وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون، وفيها فليتنافس المتنافسون(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**»(٢). وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة**»(٣). وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمرأة التي كانت تصرع: «**إن شئت صبرت ولك الجنة**»(٤).

(١) «تفسير السعدي» [٤٧٣] ط. دار ابن الجوزي.
(٢) رواه البخاري برقم [٦٤٢٤]..
(٣) رواه البخاري برقم [٥٦٥٣].
(٤) رواه البخاري برقم [٥٦٥٢]، ومسلم برقم [٢٥٧٦].

orelkandi.com

**سابعًا- بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين:**

بالصبر يكون النصر والظفر، وتكون الإمامة في الدين كما قال رب العالمين في كتابه المبين: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال سفيان بن عيينة: لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسًا[(١)].

فلا يؤهل للإمامة في الدين إلا من صبر على التعلم والتعليم والدعوة إلى الله والأذى في سبيله، وكف نفسه عن المعاصي والشهوات وألزمها طاعة الله وتقواه وكان بالحق موقنًا وكان بنصرة الله لأهل الحق واثقًا، ومن لا صبر له فلا ثبات له ولا سداد، ولا نصرة ولا سعادة، لذلك فاستعن بالله واصبر، واستمد صبرك من الله كما قال موسى الكليم عليه صلاة الله وسلامه لقومه: ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾. [البقرة: ١٥٣]

وقال الله تعالى لرسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨]. فكن صابرًا واثقًا موقنًا يجعلك الله إمامًا في الدين يهتدي بك أناس ويتعلم منك آخرون، وينصرك الله على عدوك مهما بلغ كيده ومكره؛ لأن الله من ورائه محيط، ولأن الله معك يحفظك ويؤيدك، ولما نجى الله بني إسرائيل من فرعون وقومه وأغرقهم في اليم جعل الله من أسباب نجاة بني إسرائيل ونصرتهم أنهم صبروا فأثنى الله تعالى عليهم بذلك في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) «عدة الصابرين» ص [١٢٥].

بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

فمن صبر نال ومن صبر ظفر، كان له من معية الله وحفظه وتأييده بقدر ثباته وصبره قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠].

### ثامنًا- الصبر نجاة من النار:

الصبر حصن حصين، وسياج أمين ينجي الله به عبده من نار الجحيم وقد ورد في سنن الترمذي بسند صحيح عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابًا من النار**»[(١)].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتت امرأة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصبيٍّ لها فقالت: يا نبي الله ادع الله له فلقد دفنت ثلاثة قال: «**دفنت ثلاثة؟**» قالت: نعم قال: «**لقد احتظرت بحظار شديد من النار**»[(٢)]. أي: امتنعت بمانع وثيق وأصل الحظر المنع وأصل الحِظار بكسر الحاء وفتحها ما يجعل حول البستان وغيره من قضبان وغيرها كالحائط[(٣)]. الصبر حجاب وثيق ومانع عظيم لصاحبه من نار الجحيم فاصبر ينجك ربك جَلَّ جَلَالُهُ.

أي أخي،

**كن عن همومك معرضا ... ودع الأمور إلى القضا**
**وانعم بطول سلامة ... تغنيك عما قد مضى**
**فلربما اتسع المضيق ... وربما ضاق الفضا**
**الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن متعرضا**

(١) رواه البخاري برقم [١٤١٨]، ومسلم برقم [٢٦٢٩].
(٢) رواه مسلم برقم [٢٦٣٦].
(٣) «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٤٣٢).

obeikandl.com

## أنواع الصبر

الصبر ثلاثة أنواع. يقول ابن القيم: وهو ثلاثة أنواع صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله[١]. وبعبارة أخرى: الصبر على المأمور، والصبر على المحظور، والصبر على المقدور[٢]. وقد سبق شرح معناه، ولكن أي هذه الأنواع الثلاثة أفضل؟ الجواب: الصبر المتعلق بالتكليف وهو الأمر والنهي أفضل من الصبر على مجرد القدر فإن هذا الصبر يأتي به البر والفاجر والمؤمن والكافر، فلابد لكل أحد من الصبر على القدر اختيارًا أو اضطرارًا، وأما الصبر على الأوامر والنواهي فصبر أتباع الرسل، وأعظمهم اتباعًا أصبرهم في ذلك، وكل صبر في محله وموضوعه أفضل، فالصبر عن الحرام في محله أفضل وعلى الطاعة في محلها أفضل[٣]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية[٤].

### ما هو الصبر الجميل؟

قال شيخ الإسلام: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لاعتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه[٥].

---

(١) «تهذيب المدارج» ص [٣٥٣].
(٢) «عدة الصابرين» ص [٥٦].
(٣) «عدة الصابرين» ص [٥٦].
(٤) «تهذيب المدارج» ص [٣٥٤-٣٥٦].
(٥) «تهذيب المدارج» ص [٣٥٤-٣٥٦].

obeikandl.com

**عاقبة الصبر:**

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قرأت سورة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فتعجبت من مدحه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على صبره وشرح قصته للناس ورفع قدره بترك ما ترك، فتأملت خبيئة الأمر فإذا هي مخالفة للهوى المكروه فقلت: واعجبًا لو وافق هواه من كان يكون؟! ولما خالفه لقد صار أمرًا عظيمًا تضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبر ساعة فياله عزًا وفخرًا أن تملك نفسك ساعة الصبر على المحبوب وهو قريب، وبالعكس منه حال آدم في موافقته هواه، ولقد عادت نقيصة في حقه أبدًا لولا التدارك فتاب عليه، فتعلَّموا رحمكم الله عاقبة الصبر ونهاية الهوى، فالعاقل من ميَّز بين الأمرين، الحلوين والمرين فإن من عدل ميزانه ولم تمل به كفة الهوى رأى كل الأرباح في الصبر، وكل الخسران في موافقة النفس، وكفى بهذا موعظة في مخالفة الهوى لأهل النهي والله الموفق.

## مجالات الصبر

هذه صور للصبر في واقع الحياة التي نحياها وبيان لمجالاته وإن كان من المعلوم أنه لن نستطيع أن نستوفي تلك الصور كلها فيكفي الإشارة إلى بعضها والله المستعان.

**الصبر في الدعوة إلى الله:**

من أنبل وأجل مجالات الصبر أن يصبر المؤمن على الدعوة إلى الله وذلك من خلال إبلاغها للخلق واحتمال الأذى المترتب على ذلك البلاغ والاستمرار على المنهج السديد والسير على هدي السلف الصالحين وقد قال ربنا عَزَّوَجَلَّ في ذكر وصايا لقمان الحكيم لولده: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]. تأمل قوله ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ عقب قوله: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وذلك لأنه -كما يقول الحافظ

ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ- علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إن الصبر على أذى الناس من عزم الأمور[1]. إن طريق الدعوة طويل شاق، مليء بالعقبات والأشواك ولا يثبت فيه أهل الصبر واليقين ومن ظن أنه يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر دون أن يمسه أذى فقد جهل السنن الكونية والواقع الدعوي المشاهد، ستجد من يتهمك في نيتك وفي عملك وفي رأيك؟ ستجد من يتهمك في عرضك وعقلك، ستجد من يستخف بقولك ويزهد فيك، ستجد وستجد ولكن دواء كل ذلك الصبر فإذا صبرت أجرت واستمرت دعوتك وآتت ثمارها.

### الصبر في طلب العلم وتعليمه:

العلم من أشرف المطالب، وأنفس المكاسب، وأنبل ما يحصله إنسان، وهو أمضى سلاح وأقوى عدة يمتلكها المرء في هذه الدنيا، ولكن ذلك العلم لا ينال براحة الجسد، وإنما لابد من الصبر والتعب والسهر والسفر في تحصيله، لابد من مجالسة أهل العلم والرحلة إليهم، ودوام النظر في بطون المراجع والكتب، والعكوف عليها وكل ذلك وغيره لا يتأتى إلا بالصبر فمن صبر نال، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وفي سير العلماء في تضحيتهم بالغالي والنفيس وهجرهم للأوطان وإيثارهم للتعب والنصب والجوع على الراحة والدعة ما يبعث في النفس التأسي ولكن هذا المقام لا يحتمل سرد سيرهم في ذلك فارجع إليها في مظانها تجدها كثيرة عديدة[2]. كذلك لابد من الصبر على التعليم وبيان الحق للخلق وذلك نوع من الجهاد المتاح في هذه الأيام، وجهاد الحجة والبيان لا يقدر عليه إلا الربانيون الصادقون من أهل العلم، وما أحوج الأمة في هذه

---

(١) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» ص [١٠٦٤] ط. دار السلام بالرياض.

(٢) راجع في ذلك صفحات من «صبر العلماء» لأبي غدة، و «علو الهمة» للدكتور المقدم و «صلاح الأمة» للدكتور العفاني، جزاهم الله جميعًا خيرًا.

obeikandi.com

الأيـام إلى جيـوش قوية مـن أهل العلم لردع الباطل ودحض شـبهاته وافتراءاته لاسـيما وقد اشـتدت واستأسـدت في هذه الأيام فتن الشـبهات وأطل أهلها المبطلون المغرضون برءوسـهم من خلال شاشـات مغرضـة خبيثة من شـيعة روافض، ونصـارى صليبيين، وصوفيـة مخرفـين، وبهائيـة وقاديانيـة منحرفين إلى غير ذلـك من طوائـف الضلال التي ظهـرت أنيابها بـكل وقاحة في هذه الأيام، ولا يصد ولا يـرد تلك الطوائف عن حياض الإسلام إلا جيش من المرابطين الصادقين المخلصين الذين يتجردون لله ويبيعون أنفسهم له ويسـتعذبون العذاب في سـبيله، وأولئك هم الأبطال حقًا والمرابطون الصادقون فعلًا إن كثيرًا من طلاب العلم في هذه الأيام لاهم لهم إلا القيل والقال، والبحث عن الأخطاء والزلات وانشـغلوا عن عدوهم وأصبحوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ويمكنون لأعدائهم من أنفسهم، ثم أين إنتاجهم العلمي والدعوي؟! أين ثمرة ما تعلموا لا تجد إنما هم صور بلا حقيقة وأشباح بلا أرواح وألسنة حداد تفرى في الأعراض فبئس ما يصنعون، وبئس ما سـولَّت لهم أنفسـهم، وبئس ما هداهم إليه شـيطانهم. أي إخواني، أين أنتم في سـاحة الجهـاد الدعـوي والعلمي؟! أيـن أنتم في مكافحـة المنكرات والبدع؟! أيـن أنتم في نشر التوحيد والسنة؟! ما هو دوركم وما هي ثمرة جهودكم؟! والله لتسألن عن علمك ماذا عملت فيه؟! والله لتسـألن عن هذه الحرب القائمة والدائرة على الإسلام وأصوله ما هو دورك فيها؟! أي إخوتي بالله عليكم اسـتيقظوا وانتبهـوا، هبوا لنصرة دينكم ودعوتكم، اصـبروا لله في المجاهدة عن دينه، صبرًا صبرًا في مجال العلم والتعليم والإرشـاد والبيان، واتـق الله وكـن جنديًا صالحًا، كـن ربانيًا حريصًا على نشر الحـق ونصره ودحض الباطل والتصدي له بكل سبيل.

### الصبر في الفتن:

في عصرنـا أصبحـت الفتن كأمـواج البحر تحيط بنا مـن كل اتجاه، وتتلـون بألوان متعددة، تشـتد وتمتد، وتضل وتزلزل، والمعصـوم منها من عصمه الله، وكأن هذا الزمان

هو أشبه شيءٍ بزمن الصبر الذي قال فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»(١). أرأيت إنسانًا أمسك في كفة يده جمرة نار مشتعلة قد قبض عليها، وهي تحرق جلده ولحمه وتصل إلى عظمه ولكنه لا يستطيع أن يتركها؛ لأن في الإمساك بها نجاته كذلك المتمسك بدينه في هذه الأيام يجد من الفتن ما يذهله ويؤلمه ويحيط به ويزلزل، فيظل ثابتًا على دينه مستمسكًا به برغم الأذى العظيم والألم الشديد الذي يلقاه في كل ناحية واتجاه ولا بد أن يصبر المؤمن الموقن وليعلم أن الله معه وليعلم أن المعونة تأتي من الله على قدر المئونة، والسعيد الموفق من سدده ربه وثبته ثم جزاه بثواب الصابرين قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتُلي فصبر، فواهًا**»(٢). وأسلم طريقة للنجاة من الفتنة البعد عنها وعدم التعرض لها، ثم دوام الاعتصام واللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

### الصبر عن اللغو وآفات اللسان:

لقد امتدح الله جَلَّجَلَالُهُ المؤمنين المفلحين بهذا الخلق النبيل وهو الإعراض عن اللغو ومجالس الزور قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. كذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. إن اللسان من أخطر الجوارح التي تغرق الإنسان في المعاصي والسيئات، كم من كلمة أفسدت وأضلت، كم من كلمة أوقعت بريئًا في تهمة، ولوثت عرضًا طاهرًا، وصدت عن سبيل الله، وأثارت العداوات وأوغرت النفوس، فلابد من الصمت وكف اللسان عما يجر العبد إلى الإثم، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**»(٣). قال

---

(١) رواه الترمذي برقم [٢٢٦٠]، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٩٥٧].

(٢) رواه أبو داود برقم [٤٢٦٣]، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب» برقم [٧٢٤٣].

(٣) رواه البخاري برقم [٦٠١٨]، ومسلم برقم [٤٧].

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به.

لذلك أخي، كف لسانك يسلم لك دينك، كف لسانك تكن محبوبًا مرحومًا فما أضر عليك من لسانك إذا أطلقت له العنان، فإذا حفظته حفظك.

### الصبر في الحياة الزوجية:

إن الزوجين شريكان في إدارة البيت وغرس السعادة فيه وذلك إذا قام كلٌّ بدوره واحتمل للآخر خطأه واغتفر له ذَلَلَهُ وجعل ذلك الصبر لله ودائمًا نقول: من طلب أخًا بلا عيب صار بلا أخ، فلابد من نقص في الرجل وكذلك في المرأة وبالتغاضي عن ذلك تسير عجلة الحياة وبالصبر والاحتمال تدوم العشرة والألفة بين الزوجين، ولهذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**»(١).

ولو فهمنا ذلك الحديث حقًا وامتثلناه في حياتنا لنجونا وسلمنا من الخلافات الدائمة والهموم الكثيرة التي تصرف العبد وتصدفه عن عبادة ربه، وقد أحسن من قال من السلف: ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، نعم إنك أيها الزوج أكمل عقلًا وخلقًا فدارها تعش بها وبكلمة يسيرة تمحو ما هي فيه من غضب وحزن، وبصبر قليل تمتلئ حياتك هدوءًا وطمأنينة، إن عدو الله إبليس يدأب في إثارة ما يوغر النفوس ويوجد النفرة والبغضاء لكي يصل من خلال ذلك إلى تدمير البيوت وهدم حصون الأسر المسلمة فلا تكن ولا تكوني عونًا للشيطان على أنفسكما، وليتق كل منكما ربه ولينظر ما هو الحق الذي عليه فليؤده. ومن تواضع لله رفعه، ومن صبر لله كافأه وأثابه، وليعلم الزوجان أن مسئوليتهما كبيرة أمام الله جَلَّ جَلَالُهُ في تربية الأولاد وتنشئة الصغار على معالم الدين وأخلاقه قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. والتعليم والتربية للأهل والأولاد أمر يحتاج إلى صبر

(١) رواه مسلم برقم [١٤٦٩].

ومتابعة ولكن مما يعين على ذلك الاستعانة بالله جَلَّ جَلَالُهُ، ومن أهمل ذلك فهو مسئول غدًا بين يدي الله عن هذه الأمانة التي أناطها الله به ألا وهي تربية الزوجة والأولاد على أخلاق الإسلام وأصوله قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**»(١). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»(٢).

### الصبر عن المعاصي:

وهذه الوصية للشباب المسلم أن يصبر نفسه عن النظر إلى الحرام ومطالعة المواقع الإباحية ومجالسة أصحاب السوء، والحذر من التدخين وإضاعة الصلوات، وتحذير المسلمة من التبرج وإبداء الزينة ومخالطة الرجال وسماع الأغاني، وغير ذلك من المخالفات وكذلك نصيحة للمسلمين عامة باجتناب الربا والاقتراض من البنوك الربوية، وأكل الحرام وأخذ الرشوة وغير ذلك من المحرمات فمن صبر عنها صبره الله ويكفيه في الصبر عنها أن يعلم عاقبتها الأليمة في الدنيا والآخرة من حرمان العلم والرزق وسقوط المنزلة عند الله والتعرض لغضبه وعذابه.

### الصبر على الطاعات والاستمساك بها:

الطاعة غذاء القلب ووقود الإيمان، وإذا غيِّب القلب عن الطاعات مرض ومات، ولذلك كان من هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المداومة على العمل الصالح والاستمرار عليه كما في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه**»(٣). وفي صحيح مسلم عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**كان رسول الله**

---

(١) رواه البخاري برقم [٨٩٣]، ومسلم برقم [١٨٢٩].

(٢) رواه مسلم برقم [١٤٢].

(٣) رواه البخاري برقم [٤٣]، ومسلم برقم [٧٨٥].

openkandil.com

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة»**[(١)].

وقد نصح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن عمرو بالمحافظة على قيام الليل وذم من تركه وأهمله كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**»[(٢)].

فمن كان على طاعة؛ فليحافظ عليها كصلاة الصبح في جماعة وسائر الصلوات الأخرى وكذلك الصبر على إقامة السنن كلها في الصلاة وغيرها، والصبر على إقامة فرائض الدين وآدابه والمحافظة عليها وحبس النفوس على إتمامها والمداومة عليها وهذا من أهم أنواع الصبر وأشقها ولا يوفق له إلا ذو حظ عظيم وذو إيمان راسخ وقلب سليم، اللهم ربنا إنا نسألك من فضلك العظيم، يارب خذ بنواصينا إلى ما يرضيك عنا وقنا شر نفوسنا إنك على كل شيءٍ قدير.

## قدوات كريمة

مما يحث النفس على الصبر ويدفعها إليه أن تضرب لها الأمثال وأن تقف على قصص الصابرين وثباتهم؛ لأن النفس طبعت على التأسي والاقتداء، فإذا طالعت أخبار الصابرين ومواقفهم كان ذلك دافعًا لها إلى الصبر مشجعًا لها على التحلي به في كل وقت وآن، وفي كل موقف وشدة ومن الشواهد التي نقف معها في ذلك ما يلي:

### أولًا - إمام الصابرين وأسوتهم:

هذا هو رسولنا ونبينا وقدوتنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم قدوة وأصدق أسوة في الصبر والثبات، وما عرفت الدنيا قط أصبر من سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإذا تأمل المتأمل في سيرة المصطفى امتلأ قلبه بالإجلال والتعظيم لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وإذا أردت أن تسرد مواقف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصبر وجدت تلك

---

(١) رواه مسلم برقم [٧٤٦].

(٢) رواه البخاري برقم [١١٥٢]، ومسلم برقم [١١٥٩].

obeikandl.com

المواقف تتزاحم عليك وتكثر بين يديك حتى تبقى متحيرًا ماذا أذكر منها وماذا أترك، ولكننا يكفينا في هذا المقام لمحات ولفتات من سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها الدعوة المباركة اشتد العداء والكيد لحربها وتدميرها، فعقدت المؤتمرات وحيكت المؤامرات، واستعان الملأ المشركون بكل ما يستطيعون لصد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن دعوته وصد الناس عنه، ولكن كان كيدهم في تباب، وكان مكرهم إلى زوال وظهر الحق وزهق الباطل، وأشرق النور وانمحى الظلام وذلك من خلال هذا الصبر العظيم للنبي الكريم صلوات الله عليه وسلامه.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. صعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟**» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢][1]. هذا ما قاله الأثيم أبو لهب في أول موقف يسمع فيه للدعوة نداء، وكان كذلك سدنة الكفر، وأساطين الباطل، وأنصار الكفر والجهل اتهموا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتهم المنفرة التي يتواصى بها أهل الباطل في كل زمان ومكان قالوا عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساحر!! قالوا عنه شاعر!! قالوا عنه مجنون!! قالوا عنه كاهن!! قالوا عنه كذاب وهو أصدق الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!!

ومن الأذى الذي ألحقه المجرمون الكافرون برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو صابر محتسب ما ورد في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله

(١) رواه البخاري برقم [٤٩٧١]، ومسلم برقم [٢٠٨].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا[١] جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على رأس محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم[٢] فأخذه فلما سجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاته، رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللهم عليك بأبي جهل بن هاشم، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**» وذكر السابع ولم أحفظه فو الذي بعث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر[٣].

ومن أشد ما صنع به المشركون ما رواه البخاري عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غَافِر: ٢٨][٤].

---

(١) سلا الجزور هي اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الآدمي المشيمة.

(٢) هو عقبة بن أبي معيط كما في بعض الروايات.

(٣) رواه البخاري برقم [٢٤٠]، ومسلم برقم [١٧٩٤].

(٤) رواه البخاري برقم [٣٦٧٨].

ولما اشتد الأذى به ﷺ وبأصحابه جاء بعض الصحابة إليه ﷺ يشكون له ذلك ويطلبون منه الدعاء على المشركين فما كان منه ﷺ إلا أن صبرهم وثبتهم وضرب لهم الأمثال وبين لهم مآل الصبر وحسن عاقبة الصابرين فكان ذلك درسًا عمليًا للصحابة في الصبر والثبات فلما رأوا صبره صبروا ولما رأوا ثباته ويقينه ثبتوا روى البخاري من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»(١).

ووصل الأمر بالمشركين أن غيروا اسم رسول الله ﷺ احتقارًا لدينه واحتقارًا له، وبغضًا وحسدًا وتنفيرًا للناس عنه ﷺ، فمن شدة كراهتهم لرسول الله ﷺ كانوا يقلبون اسمه من محمد إلى مذمَّم فيقولون إذا ذكروه بسوء فعل الله بمذمم، وكان ذلك بحمد الله مصروفًا عنه؛ لأن مذمًا ليس اسمه ولا يعرف به ولذلك قال ﷺ: «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟! يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمد**»(٢).

ولما وجد الرسول ﷺ أرض مكة صلدة صلبة لا تثمر إلا العداء والكيد والأذى رحل إلى بلد آخر لعله يجد آذانًا صاغية وقلوبًا واعية وتكبَّد الرسول ﷺ مشقة السير في الصحراء القاحلة وفي حرارة الشمس الملتهبة ما يقارب مائة من الكيلو مترات لكي يبلغ دعوة الله إلى أهل الطائف ولكن ماذا وجد المصطفى عند أهل الطائف؟

---

(١) رواه البخاري برقم [٣٦١٢].

(٢) رواه البخاري برقم [٣٥٣٣].

يخبرنا عن ذلك الحديث التالي في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك مالقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردتُ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ومارددوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[(١)].

وما كفَّ المشركون في مكة عن أذاهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد عودته إليها في جوار المطعم بن عدي، واشتد به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأذى حتى أذن له بالهجرة من مكة فخرج منها وهي أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليه وبعد أن استقر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة المنورة بدأت مرحلة جديدة من الكفاح والمجاهدة مع سدنة الكفر وأئمة الضلال وما هدأت ثائرة الحروب في تلك المرحلة حتى لقد توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد عقد اللواء لأسامة بن زيد فأنفذ الصديق بعث أسامة من بعد، ولم يُر من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا عظمة الصبر وروعة الثبات الذي استلهم منه الصحابة صبرًا وثباتًا لم يعرف لجيل في تاريخ الدنيا غيرهم، وفي معركة أحد جرح وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجشت ركبته وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه بأبي هو وأمي وروحي ونفسي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كسرت رَباعيته يوم أحد وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟! فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

---

(١) رواه البخاري برقم [٣٢٣١]، ومسلم برقم [١٧٦٥].

وعن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد يُسأل عن جرح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد؟ فقال: جرح وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم(١).

واشتد هجوم المشركين على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد حتى أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من المهاجرين كما عند مسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه قال: «**من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة**» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ثم رهقوه أيضًا فقال: «**من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة؟**» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحبيه: «**ما أنصفنا أصحابنا**»(٢). إنه حديث يترجم شدة البلاء الذي تعرض له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحد وفيه بيان لعظيم محبة الصحابة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفدائهم له وفيه بيان لفضيلة الأنصار وصدقهم في مناصرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه بيان لشرف الدفاع عن رسول الله وأن كل من رد عن سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته ودافع عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له نصيب من ذلك الأجر، ومعنى «**ما أنصفنا أصحابنا**» على قول جماهير العلماء: ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجوا للقتال بل خرجت الأنصار واحدًا بعد واحد، وذكر القاضي وغيره أن بعضهم رواه «**ما أنصفَنا**» بفتح الفاء والمراد على هذا الذين فروا من القتال فإنهم لم ينصفوا في فرارهم(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم [٢٩١١]، ومسلم برقم [١٧٩٠] وهذا لفظه.

(٢) رواه مسلم برقم [١٧٨٩].

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٣٩٠).

وعن جندب بن سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دميت إصبع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض تلك المشاهد فقال: «**هل أنتِ إلا إصبعٌ دميتِ وفي سبيل الله ما لقيت**»(١).

وكم قتل من الصحابة بين يديه وكم عذب من صحابي من أصحابه! ومع كل ذلك كان صابرًا محتسبًا صلوات الله عليه وسلامه، ومات كل أولاده في حياته عدا فاطمة، وماتت زوجته الوفية خديجة وعمه الشفيق أبو طالب، وقتل عمه حمزة في أحد ومثل به المشركون ومع كل ذلك كان صابرًا محتسبًا صلوات الله وسلامه عليه.

وصبر النبي على تعليم الجاهلين وإرشاد الضالين وهداية الحيارى التائهين حتى أسلم الروح إلى ربه جل وعلا.

اتهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدله واتهم في عرضه وفي أحب أهله إليه وأوذي من المنافقين والأعراب واليهود وما كان منه إلا الصبر الجميل والحلم العظيم، وسرد الشواهد في ذلك يطول وتكفي هنا الإشارة إليها وذلك لشهرتها.

### ثانيًا- أنبياء الله ورسله:

أولئك الذين أنعم الله عليهم واصطفاهم واجتباهم وجعلهم قدوة للخلق وهداة إلى الحق، مبلغون عن الله شرعه ودينه، يأخذون بنواصي الناس إلى ربهم، ويخرجونهم بإذن الله من الظلمات إلى النور قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وفي صبرهم وثباتهم أسوة كريمة وما أحوجنا لدراسة سيرهم واستخراج الدروس التربوية من خلالها ونقف في هذه الإطلالة على أمثلة مختصرة تكون مجرد إشارة فمن ذلك:

---

(١) رواه البخاري برقم [٦١٤٦]، ومسلم برقم [١٧٩٦] وهذا لفظه.

**نوح عليه السلام:**

ذلكم النبي الكريم الذي ظل صابرًا على دعوة الناس مئات السنين حتى بلغ الزمن الذي قضاه في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عامًا وما عرف عن نبي من الأنبياء أنه عاش يدعو قومه مدة طويلة كهذه التي عاشها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ما يلقاه من تكذيب وإعراض، واستهزاء وسخرية، وجدال ومحاورات قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبدًا ما عاش، ودائمًا ما بقي، وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق ولهذا قال: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]. ولهذا قالوا: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود: ٣٢-٣٣]. أي إنما يقدر على ذلك الله عَزَّوَجَلَّ فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكترثه أمر بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون[1]، ولنا في نبي الله نوح أسوة كريمة في الصبر والثبات على الدعوة إلى الله والصبر على الأذى الذي لابد منه لكل من تصدر لهداية الناس ودعوتهم لاسيما إذا كان صادقًا ناصحًا.

**إبراهيم الخليل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

كلما تكلم المرء عن خليل الرحمن إبراهيم ازداد له حبًا وتوقيرًا وكلما قرأ أو سمع عنه ازداد الإعجاب والإجلال لهذا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذي صبر على أمر ربه وإقامة دينه قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ

(١) «قصص الأنبياء» ص [١٦٤] ط. التوفيقية.

لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البَقَرَة: ١٢٤]. قال ابن كثير: لما وفى ما أمره ربه به من التكاليف العظيمة جعله للناس إمامًا يقتدون به ويأتمون بهديه[(١)]. وقال الله تعالى مثنيًا عليه: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النَّجْم: ٣٧]. قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير: عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه[(٢)]. وقد أمر إبراهيم الخليل بالاختتان وعمره ثمانون سنة فسارع بتنفيذ أمر الله والامتثال لحكمه برغم المشقة الشديدة والألم المترتب على ذلك قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اختتن إبراهيم النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**»[(٣)].

ومن أروع مواقفه في الصبر وامتثاله لأمر الله هو وولده إسماعيل قصة الذبح حيث ابتلي إبراهيم بالأمر بذبح ولده إسماعيل بعد أن بلغ معه السعي ورزق به على الكبر ولكنه ما تردد وما تأخر؛ لأن الله عنده مقدم على كل شيء، وأعظم من كل مراد ورغبته ثم يتلقى إسماعيل الأمر بذلك باستسلام وصبر في موقف يدهش الألباب ويبهر العقول ويملأ القلب إكبارًا وإجلالًا لهذا النبي الكريم وولده الصابر البار عليهما صلوات الله وسلامه قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٢-١٠٧].

### نبي الله يعقوب وولده يوسف عليهما الصلاة والسلام:

وهذا موقف كريم خالد في الصبر على أقدار الله والاستسلام لحكمه لقد ابتلى يعقوب النبي بلاء شديدًا في ابنه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أحبه حبًا شديدًا حتى أنه كان إذا غاب عنه لحظات أحزنه ذلك أشد الحزن فما بالك بالأعوام والسنين؟! قال الله تعالى حكاية عن

(١) المصدر السابق ص [٢٥٣].
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٧/ ٨٩) ط. التوفيقية.
(٣) رواه البخاري برقم [٣٣٥٦]..

يعقوب أنه قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣]. ثم كان من أمر إخوانه ما كان من تدبير مكيدة لإبعاد يوسف عن أبيه ليخل لهم وجه أبيهم كما قال بعضهم لبعض ولما ألقوه في غيابة الجب وجاءوا أباهم عشاء يبكون ويخبرونه بهذا الحدث المفزع والخبر المؤلم والخطب الجسيم ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٧]. ولكن الأنبياء هم أعظم الناس بصيرة ما صدق الخبر وعلم أن ثمة مكيدة ووثق في ربه أنه سيعيد إليه ولده يومًا ما حتى وإن حالت بينه وبينه بلاد ومرت السنون والأيام فقد قال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. إنه أمر تعجز عنه الجبال الراسيات ولكنه الإيمان واليقين والثبات قال الحافظ ابن كثير: وجاءوا على قميصه بدم كذب: أي مكذوب مفترى وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من المكيدة وهو أنهم عمدوا إلى سخلة -فيما ذكره مجاهد والسُّدِّي وغير واحد- فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب وقد أصابه من دمه ولكنهم نسوا أن يخرقوه، فلهذا لم يرج هذا الصنيع على نبي الله يعقوب بل قال لهم معرضًا عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: سأصبر صبرًا جميلًا على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي على ما تذكرون من الكذب والمحال[1] ولما فقد يعقوب ولده الثاني حينما دخلوا مصر لإحضار الطعام وجاءوا إلى أبيهم يقولون: ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ إنه شقيق يوسف وبهذا يكون قد فقد ولديه اللذين أحبهما حبًا شديدًا ولكنه لم ييأس من رحمة الله ولم يجزع بل قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]. ثم قال لهم: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ

(١) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» ص [٦٥٦] ط. دار السلام.

فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يُوسُفَ: ٨٧]. ثم فرج الله الكرب واجتمع الشمل والتقى يعقوب بولده يوسف في أرض مصر كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يُوسُفَ: ٩٩].

وأما عن صبر يوسف الصديق فقد تجلى في موقفه حين ألقي وهو صغير في بئر في الصحراء، ثم صبر على محنة الرق حيث بيع رقيقًا وصار مملوكًا يباع ويشترى ثم ابتلي بمحنة مراودة امرأة العزيز له فصبر، ثم أودع في السجن وهو الصديق الكريم واختار السجن على فعل المحرم صبرًا منه وثباتًا صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يُوسُفَ: ٣٣]. ثم فرج الله عنه ومكن له في أرض مصر فسلام الله وصلاته عليه.

### موسى الكليم:

وهذا نبي الله الكريم الكليم صلوات الله عليه وتسليماته أرسله الله إلى أعتى طاغية في تاريخ الدنيا ودخل معه في صراع طويل فيه سخرية فرعون واستهزاؤه بموسى فقد قال هو وقومه عن موسى بأنه ساحر كما في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ [الزُّخْرُف: ٤٩]. وعيَّره فرعون اللعين بعقدة لسانه فقال: ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزُّخْرُف: ٥٢]. وهدَّده وتوعده فقال: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٩]. وهدده بالقتل واتهمه بأنه مفسد يريد أن يضل الناس وأن يبدل دينهم كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غَافِر: ٢٦]. وجمع السحرة لحربه فما أفلح وناظر موسى وجادله فخذله الله وأذله وأخزاه، بل إنه قاد الجيوش لقتل موسى ومن معه ولكن كان كيده في تباب وأغرقه الله في اليم ونجى موسى ومن معه إنها صفحات

من صبر الكليم موسى سوف تظل خالدة في الدهر يتعلم منها الأجيال ويقتدى بها أهل البلاء المعذبون.

وكذلك أرسل الله موسى إلى أعتى أمة وأشد الأمم عنادًا وتفلتًا عن منهج الله ورسله أولئك الذين قتلوا الأنبياء وسفكوا دماءهم حتى ذكر أهل السير أنهم قتلوا في غداة واحدة سبعين نبيًا ثم أقاموا سوق للبقول في آخر اليوم وكم عانى موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم وكم صبر على أذاهم وعنادهم إن من خبرهم العجيب بعد أن أنجاهم الله من فرعون وجنوده ورأوا بأم أعينهم هلاك فرعون وجيشه وبعد أن عبروا البحر وتمت عليهم نعمة الله بالنجاة مروا على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنمًا يعبدونه! قال الله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤٠]. ولما اختار موسى سبعين رجلًا من قومه وانطلق معهم إلى جبل الطور عبد قوم موسى العجل بعد خروجه من بينهم وضلوا ضلالًا بعيدًا وكادوا أن يقتلوا هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. وكم آذوا موسى عليه الصلاة والسلام فصبر قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ [الأحزاب: ٦٩]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان رجلًا حييًا ستيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر منا هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص، وإما أدرة وإما آفة وإن الله عَزَّوَجَلَّ أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام، فخلى يومًا وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها،**

**وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ وأبرأه مما يقولون وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه»**[(١)].

وكم صبر موسى على عتوهم وعنادهم «وكم أنَّ من لَنْ»[(٢)] قالوا: ﴿لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ [المَائِدَة: ٢٤]. وقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البَقَرَة: ٦١]. وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البَقَرَة: ٥٥]. وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما آذاه من آذاه: «**يرحم الله موسى ابتلي بأكثر من هذا فصبر**»[(٣)]. فصلاة الله وسلامه على هذا النبي الكريم.

### أيوب عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ٤١-٤٤].

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلًا كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير فسلب من ذلك جميعه، ابتلي في جسده بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عَزَّوَجَلَّ بهما وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عَزَّوَجَلَّ في ليله ونهاره وصباحه ومسائه، وطال مرضه حتى عافه الجليس وأوحش منه الأنيس وأخرج من بلده وألقي على مزبلة خارجها وانقطع عنه الناس ولم

(١) رواه البخاري برقم [٣٤٠٤].

(٢) أي: كم عانى وتألم من قول بني إسرائيل له: «لن».

(٣) متفق عليه. البخاري (٤/ ١١٥) [٣١٥٠]، ومسلم (٣/ ١٠٩) [١٠٦٢]، [١٤٠].

يبق أحدٌ يحنو عليه سوى زوجته كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها، فكانت تتردد عليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته وضعف حالها، وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بأوده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة فإنا لله وإنا إليه راجعون وقد ثبت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**»(١). ولم يزد هذا كله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا صبرًا واحتسابًا(٢)، قلت: ياله والله من صبر عظيم وثبات عظيم! ويالها من محنة لا يصبر أمامها إلا من اصطفاه الله واجتباه ووفقه وسدده ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحدٌ من العالمين قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يُذْكر الله إلا في حق، قال: وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]. فاستبطأته فتلقته تنظر وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو**

---

(١) رواه الترمذي برقم [٢٣٩٨]، وابن ماجه برقم [٤٠٢٣]، وغيرهما وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» [٤٠٢٣].

(٢) «قصص الأنبياء» ص [٣٣٠-٣٣١] بتصرف يسير.

**على أحسن ما كان فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فوالله على ذلك ما رأيت رجلًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا قال: فإني أنا هو، قال: وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض»**[(١)].

### ثالثًا- الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

لقد شهدت الدنيا وشاهدت الأيام من روعة الصبر وعظمة التضحية صورة صادقة تبرهن على رسوخ الإيمان وعمق اليقين في قلوب الصحابة الكرام لقد كان لهم من الصبر الجانب الأكبر والنصيب الأوفر بعد الأنبياء والرسل، تأمل كيف صهرتهم سياط الكفر وآلمتهم أيدي التعذيب، وحاصرتهم البلاءات من قهر وسخرية واستهزاء وتجويع وطرد وتقتيل، لقد أحاط بهم أئمة الكفر يسومونهم أشد العذاب ويذيقونهم أليم الانتقام فما وهنوا وما ضعفوا، بل رأى أعداؤهم منهم من الصبر ما حير الألباب وأذهل العقول وأعجز الجلادين وأدهش القساة المتجبرين، فلقد كان صبرهم وثباتهم أعظم من ثبات الصم الصلاب الرواسي، وما عرفت عن واحد منهم غدرة ولا خيانة ولا ارتدادًا ولا نكوصًا بل ما كان يزيدهم البلاء إلا استمساكًا بالحق وحرصًا عليه، حتى صار ذلك وصفًا عامًا لهم تقرر عند المشركين يدلك على ذلك موقف أبي سفيان يوم أن كان على الشرك وسأله هرقل ملك الروم عن أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له هرقل في جوابه: وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب[(٢)]. ويبين لك شدة ما تعرضوا له من بلاء ما قاله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكان الإسلام قليلًا فكان الرجل يفتن في دينه إما قتلوه وإما يعذبونه حتى كثر

---

(١) رواه ابن حبان «صحيحه» [٢٨٩٨]، والحاكم في «المستدرك» [٤١١٥]، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [١٧].

(٢) رواه البخاري برقم [٧].

الإسلام فلم تكن فتنة[١]. لقد وصل إلينا هذا الدين على بحار من دماء الشهداء وعرق العلماء من أولئك الصحابة الفضلاء الأوفياء أولئك الذين قدموا أرواحهم ودماءهم ونفوسهم فداء للإسلام وتضحية في سبيل نشره ونصره، وانظر إلى حجم الغزوات والحروب التي شهدوها مع كثرة المؤامرات التي حيكت لاستئصال شأفتهم وإبادتهم ثم يثبتون ويصبرون حتى نصر الله بهم دينه وأيد بهم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانظر كيف صبر المهاجرون على ترك ديارهم وأموالهم إلى المدينة حيث صبروا فيها على اللأواء والحمى أول ما قدموها وصبر الأنصار على مناصرة المصطفى وعداء العالم كله في سبيل ذلك.

يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفضل عيش أدركناه بالصبر ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له، وقال: الصبر مطية لا تكبو[٢].

ومن أخبار صبر أفرادهم تلمح صبر مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي خرج من الرفاهية العاجلة والنعيم الزائف الزائل وارتضى الإسلام دينًا وتحمل في سبيل ذلك شظف العيش وألم الفقر؛ لأنه يعلم ويوقن أن الآخرة خير وأبقى، ويموت مصعب يوم يموت وهو لا يمتلك شيئًا يكفن فيه جسده يقول خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هاجرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئًا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت

(١) رواه البخاري برقم [٤٥١٤].

(٢) «عدة الصابرين» ص [١٢٤] ط. دار الريان.

رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه فأمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئًا من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها[١].

وهذا بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخرج به أمية بن خلف إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد[٢]. وعن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالًا وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهبًا فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناكه قال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته[٣]، ومن ذلك صبر أبي جندل بن سهيل بن عمرو الذي كان قد عذب عذابًا شديدًا في الله ولما استطاع أن يتخلص من القيد والحبس وأتى إلى الحديبية إذ به يؤمر أن يعود إلى مكة مرة أخرى فرجع وبه من الألم ما الله به عليم وبالمسلمين من الغم بسبب ذلك الشيء الكثير، وذلك حينما كان صلح الحديبية تبرم بنوده بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسهيل بن عمرو وكان من ضمن هذه البنود أن قال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنا لم نقض الكتاب بعد**» قال: فوالله إذًا لا أصالحك على شيءٍ أبدًا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأجزه لي**» قال: ما أنا بمجيزه لك قال: بلى فافعل قال: ما أنا بفاعل قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابًا شديدًا في الله وفي هذا الحديث: ثم رجع النبي

---

(١) رواه البخاري برقم [٣٨٩٧]، ومسلم برقم [٩٤٠].

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٦٢).

(٣) «السير للذهبي» (١/ ٣٥٣٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة فجاءه أبو بصير -رجل من قريش- وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني أرى سيفك هذا يا فلان جيدًا فاستله الآخر وقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رآه: «**لقد رأى هذا ذعرًا**» فلما انتهى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد**» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تناشده الله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٤-٢٦]. وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت[1].

(١) رواه البخاري برقم [٢٧٣١].

ومن المشاهد الرائعة العظيمة في صبر الصحابيات ما رواه البخاري ومسلم عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قال: قلت بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فقال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**» قالت: أصبر فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف «**فدعا لها**»[(١)]. إنه الإيمان واليقين، إنه الصبر الجميل الذي تختاره هذه المرأة الصالحة التقية وتؤثر الصرع وتختاره وتصبر عليه ما دام أن ثمن ذلك هو الجنة فلله درها! ما أصدقها في صبرها وما أعظم بصيرتها وما أسد قولها وعقلها!!

ومن تلك المواقف المشرقة المشرفة التي نراها في حياة أولئك الصحابيات ذلكم المشهد الخالد والموقف الفذ الذي لا يسطره إلا الإيمان إنه موقف العاقلة التقية المبشرة بالجنة الرميصاء بنت ملحان أم سُلَيم وهي أم الصحابي الكريم أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو الذي يروي هذا الحديث فيقول: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه فجاءت فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا فقالت: فاحتسب ابنك قال فغضب ثم قال تركتني حتى إذا تلطخت ثم أخبرتني بابني فانطلق حتى أتى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأخبره بما كان فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بارك الله لكما في ليلتكما**» قال: فحملت قال: وكان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سفر وهي معه وكان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقًا فدنوا من المدينة فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يارب أنه يعجبني أن

---

(١) رواه البخاري [٥٦٥٢]، ومسلم برقم [٢٥٧٦].

أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجدُ الذي كنت أجد انطلق فانطلقنا، وضربها المخاض حين قدما فولدت غلامًا فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وفي الرواية المتفق عليها قال أبو طلحة لأنس: احمله حتى تأتي به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعث معه بتمرات فقال: أمعه شيء؟ قال: نعم تمرات فأخذها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في فيِّ الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله.

وفي رواية للبخاري قال ابن عيينة قال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرؤوا القرآن يعني من أولاد عبد الله المولود.

### في صحبة الصابرين:

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أنعم الله على عبدٍ نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه.

قال: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. كالماء المنهمر.

وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: سحابة صيف ثم تنقشع.

قال الحسن: ما جرعتين أحب إلى الله من جرعة مصيبة موجعة محزنة ردها صاحبها بحسن عزاء وصبر، وجرعة غيظ ردها بحلم.

وأصيب مطرف بن عبد الله في ابن له فأتاه قوم يعزونه فخرج إليهم أحسن ما كان بشرًا ثم قال: إني لأستحي من الله أن أتضعضع لمصيبة.

---

(١) رواه مسلم برقم [٢١٤٤]، وهو عند البخاري بلفظ قريب برقم [٥٤٧٠].

obeikandl.com

وقال الحسن بن عبد العزيز الحروزي: قد مات ابن لي نفيس فقلت لأمه: اتق الله واحتسبيه قالت: مصيبتي أعظم من أن أفسدها بالجزع.

قالت امرأة من قريش:

**أما والذي لا خلد إلا لوجهه ... ومن ليس في العز المنيع له كفو**

**لئن كان بدء الصبر مُرًّا مذاقه ... لقد يجني من غبته الثمر الحلو**

وقال عمر بن بكير:

**صبرتُ فكان الصبر خير مغبة ... وهل جزع يجدي عليَّ فأجزعُ**

**ملكت دموع العين حتى رددتها ... إلى ناظري فالعين في القلب تدمع**[1]

وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد وكان من أحسن الناس وجهًا فدخل يومًا على الوليد في ثياب وشى وله غديرتان وهو يضرب بيده فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش فعانه فخرج من عنده متوسنًا فوقع في اصطبل الدواب فلم تزل الدواب تطؤه بأرجها حتى مات، ثم إن الأكلة وقعت في رجل عروة فبعث إليه الوليد الأطباء فقالوا: إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلكك فعزم على قطعها فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة فغشي عليه، ثم أفاق والعرق يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكبر، فأخذها وجعل يقلبها في يده ثم قال: أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يرضي الله ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت في قطيفة ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين، فلما قدم من عند الوليد المدينة تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه يعزونه فجعل يقول: «لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا» ولم يزد عليه، ولما أرادوا قطع رجله قالوا له: لو

(١) «عدة الصابرين» بانتفاء وتصرف [١٢٤-١٢٩] ط. دار الريان.

سقيناك شيئًا كيلا تشعر بالوجع فقال: إنما ابتلاني ليرى صبري أفأعارض أمره، وسئل ابنه هشام: كيف كان أبوك يصنع برجله التي قطعت إذا توضأ؟ قال: كان يمسح عليها.

كان صلة بن أشيم في مغزى له ومعه ابنه فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك فحمل فقاتل حتى قتل ثم تقدم فقتل فاجتمع النساء عند أمه معاذة العدوية فقالت: مرحبًا إن كنتن جئتن تهنئنني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

وقال رجل للإمام أحمد: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ قال: بخير في عافية فقال له: حممت البارحة؟ قال: إذا قلت لك أنا في عافية فحسبك، لا تخرجني إلى ما أكره.

وقال شقيق البلخي: من شكا مصيبة به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبدًا.

ولما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دفنه عمر سوَّى عليه[1] ثم استوى قائمًا فأحاط به الناس فقال: رحمك الله يا بني، قد كنت برًا بأبيك، والله مازلت منذ وهبك الله لي مسرورًا بك، ولا والله ما كنت قط أشد بك سرورًا ولا أرجى بحظي من الله فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي صيَّرك الله إليه.

وهذا موقف لامرأة صابرة تكافأ بصبرها في الدنيا ويبقى لها أجرها في الآخرة إن شاء الله، إنها امرأة في البادية جاء البرد فذهب بزرعٍ كان لها، فجاء الناس يعزونها فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك التعويض عما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله؛ فإن أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك، فجاء رجل من الأجلاء فحدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار.

قلت: سبحان ربي! فإنه بينما أنا أكتب هذه الكلمات الآن جاءني اتصال هاتفي من أحد الإخوة يستفتي في شيء ولكنه قص عليَّ في أثناء حديثه هذا المشهد الذي جاء

(١) أي التراب.

بقدر الله عَزَّوَجَلَّ ليأخذ مكانه في هذه الصفحة، يقول الأخ: إنني أعمل في شركة من شركات القطاع الخاص وقد كوفئت مكافأة مالية كبيرة تكفي لأداء مناسك العمرة، وما اعتمرت قبل ذلك قط فعزمت فورًا على العمرة، وبينما أنا في مكتب السفر اتصل بي والدي وقال: أنا أريد هذا المال قال فحزنت في أول الأمر وأعطيته المال فلما رأى ما بي رد إلي المال بعد أيام فأخذته، ولكني راجعت نفسي وقلت: إن البر واجب والعمرة سنة فلو أعطيت المال لوالدي لكان أفضل فذهبت وأعطيت المال لأبي ونفسي راضية بذلك ثم رأيت في منامي أني في لحظة احتضار ولكني أردد كلمة التوحيد لا إله إلا الله، والعجيب أن زوجتي رأت نفس هذه الرؤيا في تلك الليلة، يقول وذهبت إلى عملي فاستدعاني مدير الشركة وقال: أخبرت أنك كنت تريد أداء العمرة ولكن تعذر عليك ذلك وأن مالك قد أنفق في مجال آخر قال: قلت نعم قال: أحضر لي جواز سفرك فإني سوف آتيك بتأشيرة للعمرة وسوف أعطيك نفقات السفر هدية مني لك. قلت: تأمل في هذا المشهد معنى أن من صبر نال، وأجر، وفرج عنه وكان الله معه اللهم ارزقنا الصبر واجعلنا من أهله.

## سبل الصبر على المصائب

لن يخلو إنسان من بلية تصيبه، ولن يترك عبدٌ في هذه الحياة بدون اختبار وابتلاء فكيف يعالج المرء المصائب إذا نزلت؟ وكيف يقوي نفسه على تحملها؟ ويدفع القلب إلى الثبات فيها إن ذلك بأمور:

**أولًا-** أن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وأنها لن تصفو لأحدٍ قط.

**ثانيًا-** أن يعلم أن المصيبة مقدرة مكتوبة قبل أن يخلق.

**ثالثًا-** أن يقدر وجود ما هو أكبر منها وأعظم منها.

**رابعًا-** التأسي بحال من ابتلي بمثل هذا البلاء فإن في التأسي تسرية عن النفس وراحة لها.

**خامسًا-** النظر في حال من ابتلي بأكثر من هذا البلاء فإن ذلك يهوِّن عليه بلاءه ويخفف عليه مصابه.

**سادسًا-** رجاء الخلف إن كان من مضى يصح عنه الخلف كموت الولد والزوجة، وفقد المال.

**سابعًا-** طلب الأجر بالصبر وتحصيل فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم، واستحضار عاقبة الصبر.

**ثامنًا-** أن يعلم أن شدة البلاء يخص بها الأخيار.

**تاسعًا-** أن يعلم أنه مملوك وليس للملوك في نفسه شيء.

**عاشرًا-** أن يعلم أن ما وقع إنما هو برضا الرب فيجب على العبد أن يرضى بما رضي به ربه.

**حادي عشر-** معاتبة النفس عند الجزع وإعلامها بأن الجزع لا يرد الفائت وإنما يسر الشامت ويحبط الأجر.

**ثاني عشر-** إنما هي ساعة فكأن لم تكن[1].

---

(١) «تسلية أهل المصائب» ص [٢٩] نقلًا عن «اصبر واحتسب» لعبد الملك القاسم ص [١٨-١٩] ط. دار القاسم وقد ذكرتها بتصرف يسير.

obeikandl.com

## سبل الصبر على المعاصي

المعصية سبب لكل شؤم وشر، وضنك وضيق يقع للمرء في هذه الدنيا مصداق ذلك في قول ربنا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. ومن توفيق الله لعبده وحسبه له أن يعصمه من الزلل وأن يحفظه من الوقوع في أسر المعاصي وبراثن الشهوات تلك التي تدمر الإيمان في القلب وتغرس فيه المعاني الخبيثة والأخلاق المذمومة التي تجعله بغيضًا بعيدًا والعياذ بالله. يقول الحسن البصري في أولئك العصاة: هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم.

ومن السبل التي يستعين بها العبد في الصبر على المعاصي بعد استعانته بالله ودوام مراقبته سبحانه ما يلي:

### أولًا - أن يذكر العبد عظمة ربه وعزته وقوته وقدرته:

فليستح من ربه أن يعصيه وهو ناظرٌ إليه مطلع عليه، ولو شاء الله لجمد الدم في عروقه وألقى عليه من الآلام ما يذهله ويدمره قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴾ [فاطر: ٤٥]. وقال جل ذكره: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

### ثانيًا - أن يتجنب مواطن الفتن ويحترس من مخالطة العصاة:

على العبد أن يعتزل كل مكان يعصي فيه ربه ولا يحل له قط أن يجلس في مجلس معصية أو أن يجالس قومًا يضرونه في دينه ويرغبونه في معصية الله: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ

يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨]. وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ ﴾ [النساء: ١٤٠]. وكان من فقه العالم الذي سأله قاتل المائة أن أمره بهجر أرض المعصية وأن يتحول إلى أرض الطاعة حتى يستقيم على التوبة ويستمر عليها ويجد من يعينه على الطاعة ويحث عليها كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «**فدل على عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء**»[(١)]. فلا بد أن يهجر المرء أرض المعصية ومكانها وأهل المعصية الذين يحثونه عليها والسلامة أسلم، ومن جعل دينه عرضة للفتنة وجالس أهل المعاصي وخالطهم ثم وقع فيما وقعوا فيه فلا يلومن إلا نفسه، وعلى نفسها جنت براقش، يداك أوكتا وفوك نفخ.

### ثالثًا- تذكر الثمرة الحاصلة من ترك المعصية واجتنبها:

من ترك المعصية ابتغاء وجه الله وجد لذة لا يجدها العصاة في معاصيهم كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن للعفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر ولكنها لذة يتقدمها ألم حبس النفس ثم تعقبها اللذة أما قضاء الوطر فبالضد من ذلك[(٢)] إن لذة الظفر والانتصار على الشيطان يجدها العبد عقيب صبره عن المعصية ابتغاء وجه ربه، ثم يجني العبد بعد ذلك أجرًا أكمل وثوابًا أتم وأوفى في الآخرة ومن ذلك أن يكون في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله كما في حديث السبعة المشهور ومنهم: «**شابٌ نشأ في عبادة الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال**

---

(١) رواه البخاري برقم [٣٤٧٠]، ومسلم برقم [٢٧٦٦].

(٢) «روضة المحبين».

إني أخاف الله»[1]. والشاب ما نشأ في العبادة إلا بصبره عن المعاصي واجتنابه لها، وهذا المنفق صبر على الطاعة وهي الإنفاق وتحرير الإخلاص بإخفاء الصدقة ولم يستجب لشح النفس وحبها للرياء وذلك الثالث الذي صبر عن امرأة عظمت فتنتها إنما صبر لما يخافه من عقاب الله ولما يرجوه من ثواب الله وفضله سبحانه.

### رابعًا- النظر في عاقبة المعصية ومآل العصاة:

لقد أكثر ربنا سبحانه في كتابه الكريم من ذكر العواقب الأليمة التي نزلت بالعصاة الذين خالفوا أمره، واتبعوا أهواءهم بل تعدد ذكر القصة الواحدة بأساليب متنوعة ليحصل الفهم الكامل والتذكر الرادع ولكي يجتنب المؤمن سبيل الظالمين، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٢-١٠٣]. وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٠-٥٦]. وإذا نظرت الآن في أحوال العصاة من حولك وكيف تكون عاقبة أمرهم، بل كيف يعيشون حياتهم في نكد وغم يعرفه من دنا منهم، نعم فلا يغرنك ما هم فيه من نعيم زائف وتظاهر بالسعادة، فإنهم في حسرات وغموم يعرفه من عاشرهم، ماذا جنى آكل الربا؟! وماذا جنى من زنا؟! وماذا جنى من ارتشى وأكل المال سحتًا؟! أخبارهم عبرة للمعتبرين، وخواتيمهم تؤلم السامعين، والله ثم والله لو لم يكن في الصبر عن المعصية إلا السلامة من هذه الحسرات الحاضرة، لكان حريًا بالعاقل أن يصبر، وكيف إذا كان عذاب الآخرة أشد وأبقى وأعظم وأخزى، فهل ترضى لنفسك أن تكون في جهنم غدًا مع الكافرين

(١) سبق تخريجه.

والمنافقين الفجرة والمذنبين؟! أقلع عن المعصية وتب منها واهجرها واصبر عنها تصل إلى السكون والطمأنينة في الدنيا وجنة الله ورضوانه في الآخرة والله المستعان.

**خامسًا- الصيام يقطع وقود الشهوة:**

في معاصي الشهوات من أنفع العلاجات الصيام الذي أرشدنا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[(١)]. الصيام يجفف منابع الشهوة ويقطع مادتها، وكان بعض مشايخي إذا جاءه شاب يشكو من فتنة النساء والشهوة يأمره بسرد الصيام أي: يصوم أيامًا متتابعة وكان ذلك من أنجح وأنفع ما يوصف، فليكثر الشاب من صيام النوافل يجد في ذلك خيرًا وعصمة ووقاية بإذن الله؟

**سادسًا- قطع الوساوس والحرص على طلب العلم وسماعه:**

الفراغ لص محترف، ومفسد كبير، فإذا اجتمع معه شباب كان فساده أكثر وأكبر كما قيل:

**إن الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة**

ولذلك ينبغي للعبد ألا يقعد فارغًا، فيكون عرضة للوساوس والهواجس بل عليه أن يملأ حياته بالعمل والبذل والإنتاج، والاستفادة من العلوم والخبرات ومن أعظم ما يقطع الوساوس ويقضي على الفراغ شغل القلب والعقل بطلب العلم الشرعي ومجالسة العلماء وحضور مجالسهم، والبحث عن شيخ مربٍّ يتعلم الشاب على يده ويستفيد من علمه وتجاربه وخبراته، وفي الحث على طلب العلم كلام يطول يرجع إليه في مظانه.

---

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٦٦]، ومسلم برقم [١٤٠٠].

## الصبر عن المعاصي بتقوية باعث الدين

مما يردع العبد عن المعصية ويزهده فيها أن يملأ قلبه بالإيمان وجوارحه بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ فإن من بركة الطاعة أن تدل على الطاعة، وأن ترده وتصده عن معصية الله جَلَّجَلَالُهُ، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما تقوية باعث الدين فإنه يكون بأمور:

**أحدها-** إجلال الله تعالى أن يُعْصى وهو يرى ويسمع، ومن قام بقلبه مشهد إجلاله لم يطاوعه قلبه لذلك البتة.

**الثاني-** مشهد محبته سبحانه فيترك المعصية محبة له؛ فإن المحب لمن يحب مطيع، وأفضل الترك ترك المحبين، كما أن أفضل الطاعة طاعة المحبين، فبين ترك المحب وطاعته وترك من يخاف العذاب وطاعته بون بعيد.

**الثالث-** مشهد النعمة والإحسان، فإن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه، وإنما يفعل هذا لئام الناس، فليمنعه مشهد إحسان الله تعالى ونعمتَه من معصيته حياء منه أن يكون خير الله وإنعامه نازلًا إليه، ومخالفاته ومعاصيه وقبائحه صاعدة إلى ربه.

**الرابع-** مشهد الغضب والانتقام، فإن الرب تعالى إذا تمادى العبد في معصيته غضب، وإذا غضب لم يقم لغضبه شيء فضلًا عن هذا العبد الضعيف.

**الخامس-** مشهد الفوات، وهو ما يفوته، بالمعصية من خير الدنيا والآخرة، وما يحدث له بها من كل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعرفًا ويزول عنه الأسماء الممدوحة عقلًا وشرعًا وعرفًا، ويكفي في هذا المشهد مشهد فوات الإيمان الذي أدنى مثقال ذرة منه خير من الدنيا وما فيها أضعافًا مضاعفة، فكيف يبيعه بشهوة تذهب لذتها وتبقى تبعتها، تذهب الشهوة وتبقى الشقوة وقد صح أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يزني الزاني حين**

يزني وهو مؤمن»[1]. قال بعض الصحابة: ينزع عنه الإيمان كما ينزع القميص فإن تاب لبسه.

**السادس-** مشهد القهر والظفر؛ فإن قهر الشهوة، والظفر بالشيطان له حلاوة ومسرَّة وفرحة عند من ذاق ذلك أعظم من الظفر بعدوه من الآدميين وأحلى موقعًا وأتم فرحة، وأما عاقبته فأحمد عاقبة وهو كعاقبة شرب الدواء النافع الذي أزال داء الجسد وأعاده إلى صحته واعتداله.

**السابع-** مشهد العوض وهو ما وعد الله سبحانه من تعويض من ترك المحارم لأجله ونهى النفس عن هواها، وليوازنه بين العوض والمعوض فأيهما كان أولى بالإيثار اختاره وارتضاه لنفسه.

**الثامن-** مشهد المعية، وهو نوعان معية عامة ومعية خاصة، فالعامة اطلاع الرب عليه، وكونه بعينه لا تخفى عليه حاله، والمقصود هنا المعية الخاصة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]. فهذه المعية الخاصة خير وأنفع له في دنياه وآخرته ممن قضى وطره ونال شهوته على التمام من أول عمره إلى آخره، فكيف يؤثر عليها لذة منغصة منكدة في مدة يسيرة من العمر إنما هي كأحلام نائم أو كظل زائل.

**التاسع-** مشهد المعاجلة وهو أن يخاف أن يفاجئه الأجل فيأخذه الله على غرة، فيحال بينه وبين ما يشتهي من لذات الآخرة، فيالها من حسرة ما أمرَّها وما أصعبها! ولكن ما يعرفها إلا من جربها.

---

(١) رواه البخاري برقم [٢٤٧٥]، ومسلم برقم [٢٥٧].

obeikandi.com

**العاشر-** كفّ الباطن عن حديث النفس، وإذا مرت به الخواطر نفاها ولا يؤويها ويساكنها، فإنها تصير أماني، ثم تقوى فتصير همومًا ثم تقوى فتصير إرادات، ثم تقوى فتصير عزمًا يقترن به المراد فدفع الخاطر الأول أسهل وأيسر من دفع أثر المقدور بعد وقوعه وترك معاودته.

**الحادي عشر-** صرف الفكر إلى عجائب آيات الله التي ندب عباده إلى التفكر فيها، وهي آياته المتلوة وآياته المجلوة، فإذا استولى ذلك على قلبه دفع عنه محاظرة الشيطان ومحادثته ووسواسه.

**الثاني عشر-** التفكر في الدنيا وسرعة زوالها وقرب انقضائها فلا يرضى لنفسه أن يتزود منها إلى دار بقائه وخلوده أخس ما فيها وأقله نفعًا إلا ساقط الهمة، دنيء المروءة، ميت القلب، فإن حسرته تشتد إذا عاين حقيقة ما تزوده، وتبين له عدم نفعه له.

**الثالث عشر-** أن يعلم العبد بأن فيه جاذبين متضادين، ومحنته بين الجاذبين جاذب يجذبه إلى الرفيق الأعلى من أهل عليين، وجاذب يجذبه إلى أسفل سافلين، فكلما انقاد مع الجاذب الأعلى صعد درجة حتى ينتهي إلى حيث يليق به من المحل الأعلى، وكلما انقاد إلى الجاذب الأسفل نزل حتى ينتهي إلى موضعه من سجين. ومتى أراد أن يعلن هل هو مع الرفيق الأعلى أو الأسفل؛ فلينظر أين روحه في هذا العالم، فإنها إذا فارقت البدن تكون في الرفيق الأعلى الذي كانت تجذبه إليه في الدنيا فهو أولى بها، فالمرء مع من أحب طبعًا وعقلًا وجزاء، وكل مهتم بشيء فهو منجذب إليه وإلى أهله بالطبع، وكل امرئ يصبو إلى ما يناسبه وقد قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]. فالنفوس العلوية تنجذب بذاتها وهمها وأعمالها إلى أعلى والنفوس السافلة إلى أسفل.

**الرابع عشر-** أن يعلم العبد أن الله سبحانه خلقه لبقاء لا فناء له، ولعز لا ذل معه، وأمن لا خوف فيه، وغناء لا فقر معه، ولذة لا ألم معها، وكمال لا نقص فيه، وامتحنه في

هـذه الدار بالبقاء الـذي يسرع إليه الفناء والعز الذي يقارنه الـذل ويعقبه الذل، والأمن الذي معه الخـوف وبعده الخوف، وكذلك الغناء واللذة والفرح والسرور والنعيم الذي هـو هنا مشـوب بضده؛ لأنه يتعقبه ضـده وهو سريع الزوال، فغلـط أكثر الخلق، في هذا المقـام إذ طلبـوا النعيم والبقاء والعز والملك والجاه في غـير محله ففاتهم في محله، وأكثرهم لم يظفـر بـما طلبه مـن ذلك، والذي ظفر به إنـما هو متاع قليل والـزوال قريب فإنه سريع الـزوال عنه والرسـل صلوات الله وسـلامه عليهم إنما جـاءوا بالدعـوة إلى النعيم المقيم والملك الكبير، فمن أجابهم حصل له ألذ ما في الدنيا وأطيبه، فإن العبد إذا ملك شـهوته وغضبه فانقادا معه لداعي الدين فهو الملك حقًا.

**الخامس عشـر-** أن لا يغتر العبد باعتقاده أن مجرد العلم بما ذكرنا كاف في حصول المقصود، بل لابد أن يضيف إليه بذل الجهد في اسـتعماله واسـتفراغ الوسـع والطاقة فيه ومـلاك ذلـك الخروج عـن العوائد فإنها أعـداء الكمال والفلاح فلا أفلح من اسـتمر مع عوائـده أبدًا، ويسـتعين على الخـروج عن العوائد بالهـرب عن مظان الفتنـة والبعد عنها مـا أمكنه، وقد قـال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه**»(١). فما اسـتعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه(٢).

### مما يعين على الصبر:

ومـما يسـتجلب للعبـد الصـبر غير مـا ذكـر إيمانه بالقضـاء والقـدر وعلمـه أن ما أصابـه لم يكـن ليخطئـه وأن ما أخطأه لم يكـن ليصيبه، وقد قـال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. وقـال تعـالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا

---

(١) رواه أبو داود برقم [٤٣٢١]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٣٠١].

(٢) «عدة الصابرين» باختصار ص [٧٩-٨٦] ط. دار الريان، وقد يحتاج هذا الكلام إلى شرح ولكن إذا أعدت قراءته سهل فهمه واستيعابه بإذن الله.

﴿تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]. ومن ذلك الدعاء والتضرع والتذلل بين يدي الله جَلَّ جَلَالُهُ قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣]. فإذا تضرع العبد وتمسكن وتذلل وأكثر من الدعاء فإن الله عَزَّوَجَلَّ يلهمه الصبر ويكشف ما به قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ومما يعين على الصبر كذلك معرفة فضل الصبر وعاقبته وكيف أن الله يحب الصابرين ويكون معهم ويثيبهم الجنة، ومما يعين عليه كذلك معرفة خطر الجزع وما يؤدي إليه من سرور الشامتين وحرمان الأجر وحبوطه وفقدان المعونة والمعية، ومن بعد ذلك عذاب الآخرة عياذًا بالله ومما يعين عليه كذلك النظر في سير الصابرين والاقتداء بهم فلست أول مبتلى بما أنت فيه إنما سبقك في هذا الدرب أقوام وأقوام فخذ من سيرة الصالحين أسوة واجعل حاديك ما تراه من صبرهم وثباتهم بعد استعانتك بالله عَزَّوَجَلَّ، ذلك أيضًا حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ فما ابتلاك إلا ليعافيك، وما منعك إلا ليعطيك، فأحسن الظن بربك يكن لك عند حسن ظنك كما في الحديث القدسي: «**أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء**»(١).

أي أخي، اصبر تؤجر، واثبت ترحم، وأَرِ الله من نفسك خيرًا، اصبر يكن ربك معك، يحفظك، يوفقك، يسددك، ينصرك، يحبك ويصطفيك، يفرج عنك ويرفعك ويعليك، اصبر وما صبرك إلا بالله وكن لله عبدًا في الشدة كما تكون له عبدًا في الرخاء، وحقق العبودية والاستسلام لأمر ربك في العافية والبلاء، وكن لله كما يريد يكن لك مثل ما تريد وفوق ما تريد.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٥/ ٣٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٣١٦].